

التعامل الإيديولوجي لما بعد الكولونيالية في النصوص القاموسية - صورة الطفل الإفريقي نموذجاً *

The ideological treatment of post-colonialism in dictionary texts - the image
of the African child as a model

¹ ID Zaoui Keltoum / زاوي كلثوم

المجمع الجزائري للغة العربية (الجزائر)، (وحدة البحث في علوم اللسان)

zaoui.khaltoum@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن البعد الإيديولوجي الكامن في النصوص القاموسية الواردة في القواميس المدرسية الثنائية اللغة (عربي-فرنسي)، ولا سيما تلك الموجهة إلى المتعلمين الصغار، مثل قواميس لاروس ولاروبار. وتنطلق الدراسة من اعتبار النص القاموسي شكلاً من أشكال الخطاب الذي يشترك مع النصوص الأدبية في جملة من المبادئ النصية، من بينها تضمين رؤية المؤلف ومقاصده تجاه المتلقي. ومن هذا المنطلق تسعى الدراسة إلى تحليل الكيفية التي تُصور بها شخصية الطفل الإفريقي ذي البشرة السوداء في الصور والنصوص التوضيحية داخل هذه القواميس، مع الوقوف عند الأبعاد الدلالية والثقافية التي تعكسها تلك التمثيلات، خاصة فيما يتصل بحياته بين موطنه الأصلي في إفريقيا وموطنه المغترب إليه في فرنسا، في سياق يمتد من الفترة الكولونيالية إلى ما بعدها. وتبين من خلال تحليل النماذج المختارة أن النصوص القاموسية لا تخلو من حمولة إيديولوجية وثقافية تؤثر في طريقة تمثيل الآخر الإفريقي، إذ تجمع بين تصوير أوضاعه في القارة الإفريقية في ظل الحروب والاستعمار، وبين محاولات تقديمه ضمن خطاب إصلاحي يسعى إلى إدماجه في المجتمع الفرنسي. غير أن هذه التمثيلات تكشف في الوقت نفسه عن بقايا نظرة دونية أو نمطية تجاه الطفل الإفريقي، وهو ما يبرز من خلال الصور التوضيحية والسياقات النصية المصاحبة لها. وبذلك تؤكد الدراسة أن النص القاموسي، على الرغم من طابعه التعليمي والمعجمي، يظل خطاباً قابلاً للتأويل والتحليل النقدي، لما يحمله من تمثيلات ثقافية وإيديولوجية تسهم في تشكيل صورة الآخر في وعي المتلقي الناشئ. الكلمات المفتاحية: الطفل الإفريقي الأسود، الكولونيالية، الإيديولوجيا، النص المعجمي والأدبي.

*

تاريخ النشر: 2026/05/15	تاريخ قبول البحث: 2026/04/06	تاريخ استلام البحث: 2026/02/02
-------------------------	------------------------------	--------------------------------

¹ Corresponding author : ORCID ID : <https://orcid.org/0009-0000-4170-3480>

Abstract

This study aims to reveal the ideological dimension embedded in lexicographic texts found in bilingual school dictionaries (Arabic–French), particularly those intended for young learners, such as the Larousse and Le Robert dictionaries. The study is based on the assumption that lexicographic text constitutes a form of discourse that shares several textual principles with literary texts, including the expression of the author's perspective and intentions toward the reader. From this standpoint, the study analyzes how the figure of the black African child is represented in the illustrations and explanatory texts of these dictionaries. It also examines the semantic and cultural dimensions reflected in these representations, particularly concerning the child's life between his country of origin in Africa and his host country, France, within a context extending from the colonial to the postcolonial period. The analysis of the selected examples reveals that lexicographic texts are not devoid of ideological and cultural implications that shape the representation of the African Other. These texts combine depictions of living conditions in Africa during periods marked by war and colonization with attempts to promote a reformist discourse aimed at integrating this figure into French society. Nevertheless, these representations simultaneously reveal the persistence of stereotypical and sometimes inferior portrayals of the African child, which appear in both the accompanying illustrations and the textual contexts. Consequently, the study confirms that the lexicographic text, despite its educational and descriptive nature, remains a form of discourse open to interpretation and critical analysis because of the cultural and ideological representations it conveys, which contribute to shaping the image of the Other in the consciousness of young readers.

Keywords: Black African Child, Colonialism, Ideology, Lexicographic and Literary Text.

مقدمة:

تعدّ النصوص القاموسية أحد أشكال الخطاب التي تتقاطع في مبادئها ووظائفها مع النصوص الأدبية، ولا سيما في قدرتها على تمثيل الفكر ونقل الإيديولوجيا الكامنة خلف اختيار الألفاظ وصياغة الأمثلة وتوظيف الصور التوضيحية. ويزداد حضور هذا البعد الإيديولوجي وضوحاً في المعاجم المدرسية الشائبة اللغة الموجهة للمتعلمين الصغار، خاصة تلك التي تتناول صورة الطفل الإفريقي الأسود في سياقات تعليمية داخل المجتمع الفرنسي. وقد لفت انتباهنا أنّ هذه المعاجم، مثل لاروس ولاروبار، لا تكتفي بتعريف المفردات، بل تبثّ عبر صورها وأمثلةها خطاباً ثقافياً يعكس آثار الكولونيالية وما بعدها، ويجسّد التوتر القائم بين وصف واقع إفريقيا زمن الاستعمار، ومحاولات إصلاح النظرة الدونية تجاه الأفارقة الذين يشكّلون فئة اجتماعية واسعة في فرنسا منذ القرن التاسع عشر. وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن كيفية تمثيل حياة الطفل الإفريقي بين بلده الأصلي وبلده الذي هاجر إليه، من خلال تحليل المداخل المعجمية والصور المرافقة لها، وبيان ما تحتزّنه من دلالات ثقافية وإيديولوجية؛

وذلك للإجابة عن إشكالية مركزية مفادها: كيف تُصوّر القواميس المدرسية الثنائية حياة الطفل الإفريقي الأسود البشرة في سياق ما بعد الكولونيالية، وما أثر ذلك على تشكيل الهوية والتمثلات الثقافية لدى المتعلم؟

أولاً- نقاط الاشتراك بين النص الأدبي والنص المعجمي والهدف التعليمي منهما:
للإجابة عن مسألة التقاطع بين نوعي النص، ينبغي أولاً تعريف كل منهما، ثم استنباط أوجه التقارب بينهما انطلاقاً من خصائصهما، والوقوف على الأهداف التي تدفع إلى وصفهما بأنهما نصاً تعليمياً:

1. النص الأدبي:

يوصف النص بأنه ثنابعات طويلة منتية، أو فقرة، أو جملة، أو كلمة في بعض الأحيان؛ «لأنه من العبث الزموني أن تتصور سياقاً لغوياً، أو ما فوق لغوي بمعزل عن نص، حيث يحمل النص أو يصور النص خطابات معروفة ولا يهم إن كان جملة أو عدة جمل متسلسلة، فالمهم أن تحمل معنى أو مضموناً تنقل للمتلقي 1: فمصطلح النص يتداخل مع مفهوم الخطاب أو رسالة لها فائدة معينة، ويحقق غرضاً يرمي إليه المرسل، أو هو "نص يكتبه كاتبه إلى شخص آخر... ويتضمن الخطاب أخباراً تعني الطرفين. وكانت الخطابات في البدء موجزة، ثم أسهب بها الكاتب حتى غدت فناً قائماً بذاته، يعتني به كاتبه. وقد يكتب المرء خطابه شعراً. لكن الأشهر أن يكون الخطاب نثراً" 2.

2. النص المعجمي:

هو نصّ قرائي أو مقروء مبصر لمفهوم المدخل أو الوحدة المعجمية، كما أنه "توزيع حسب خطة معينة لها نسق معجمي خاص، وكل جزء من أجزائه متضامن مع باقي الأجزاء الأخرى، نجده نص داخل نص لا يقرأ من أوله إلى نهايته، بل يكتفي بفقرة تشرح مدخلا مستقلاً، وهذا النص يكشف عن أوجه معاني المداخل ليغدو نصاً ثقافياً أو لغوياً يتضمن خطاباً حول الكلمات والأشياء" 3؛ وبالطبع تختلف النصوص حسب نوع المعجم، فكل نص له خصائصه وسماته؛ فالمعجم العام نصه تثقيفي معرفي، ونص المعجم المتخصص علمي تحصيلي، والمعجم المدرسي نصه تعليمي له خصوصية معرفية.

يهدف النص المعجمي إجمالاً إلى تحقيق هدفين: وهما الإفادة والتعلم؛ حيث يسعى صانع القاموس أو المعجم إلى توفير مضمون مفيد للقارئ وإلى أن يكون النص مناسباً للسياق اللغوي والمعرفي والاجتماعي والحضاري الذي يكتب فيه، وذلك على حسب تنوع النصوص المعجمية، فمثلاً. القاموس المدرسي نصه تعليمي هدفه تعلم الألفاظ، واكتساب مفاهيم لمعان نجهلها، وللتثبت من ألفاظ

نود أن نعرفها"⁴، بل نتخذة أيضا حجة على الصواب أو الخطأ في الاستعمال⁵. وتختلف غايات المعاجم المدرسية وفي هذا تعتبر المعاجم الفرنسية ذات غايات مقصودة ومدروسة نفسيا واجتماعيا⁶.

1-2. أركان النص المعجمي:

لا شك أن المعجمي سيستفيد بصدد معالجته المداخل المعجمية الأساسية من هذه الثنائية في عملية الفصل ذهنيًا بين الدال والمدلول، وللوصول إلى مضمونهما للنص المعجمي المعدّ للمفردة، توجد آليات يعتمد عليها المعجمي وهما اثنان الخاصة بالمظهر الشكلي الخاص بالمكون الدالي حيث يصف المفردة صرفيا وصوتيا ونحويا، وتصنيفها إلى مستوياتها اللغوية؛ وتصنيفها بحسب الخصائص الصوتية وحسب العائلات الاشتقاقية والعائلات التأصيلية التي ترجع إليها⁷. وذلك وفق منهجية مرتبة يتقيد بها المعجمي في نصّ المفردة، أما الآليات الخاصة بالمظهر الدلالي الخاص بالمكون المدلولي الذي يحتوي معلومات دلالية ومعجمية، الأولى وتخصّ ذكر التراكيب أو الجمل والسياقات أو الأمثلة التوضيحية والتعريفية من إيصال المعنى إلى مستعمل اللغة. وتخصّ الثانية ذكر ما يتعلق ما يلحق بالمدخل من ظواهر معجمية كالترادف والتعدد الدلالي، وتوسيع المعنى بتعميمه أو تضيقه وتخصيصه، كما "تسهم الوسائل المساعدة في هذه البنية في تدعيم المعنى وتدقيقه كالصور التوضيحية؛ وهي محتويات دلالية بالطبع "حملتها الجماعة اللغوية إياها؛ وهو ما ندعوه بالدلالة الاجتماعية"⁸.

وتعتبر هذه الخصائص الأربع (الصوت والصرف والنحو والدلالة) تمييزية وتحقق التفرد للمفردة (Individu Lexica) في المعجم؛ حيث "تكون مدخلا معجميا مستقلا أو عنصرا تاما مفيدا من عناصر التركيب النحوي"⁹. وهذه المعلومات المميزة لكل مدخل عن الآخر، تعدّ من الأولويات الضرورية لكل مدخل معجمي في النص المعجمي، ويبينها المعجمي على نسق معين أو منهج موحد يتبعه على جميع مداخل القاموس أو المعجم، دون أن يسقط شيئا أو يكرّر أو يهمل من تلك المعلومات التي اتخذها منهجا في معالجة مواد القاموس أو المعجم¹⁰.

إذن: وهكذا فإن الإحاطة بما في الاستعمال كله تظلّ عسيرة لأن المعجم نظام من أنظمة اللغة يقوم على الوحدات المعجمية التي يكتسبها المتكلم ويستعملها أو يستعمل بعضها ويولد بعضها منها صلبة غيره من المتكلمين، ويخضع هذا النظام أكثر من غيره من أنظمة اللغة للتطور والتغير والتوليد¹¹. وتختلف أركان الوجهين الدال والمدلول في النص المعجمي في وضعها بين الاسم وبقية أقسام الكلام، فبالنسبة للمدخل الاسمية المصطلحية واللفظية الدالة على أسماء الأشياء أو الذات الحسية؛ فإنها تتطلب توضيحا في أقل زمن لاستيعاب معناها دون النظر إلى كونها أساسية أو كامنة، أو ثانوية لمستعملي اللغة مهما تنوع النص المعجمي.

3. أوجه الاشتراك بين النص المعجمي والنص الأدبي:

توصلت نتائج الدراسات في اللسانيات النصية وغيرها من الاختصاصات الحديثة، أنّ النصّ المعجمي يتقاسم مع أنواع من النصوص في الخطاب كالنص الشعري، والنص الفني، والخطاب العلمي؛ فالنص المعجمي له مبادئ في الصناعة المعجمية، وله سمات عامة وخصوصيات تبعا لأنواع المعاجم، وتبعا لطرائق الوضع وأصناف المستعملين المستهدفين وغير ذلك، وهذه المبادئ نوعان: مبادئ تأسيسية ومبادئ تنظيمية في الوضع المعجمي؛ حيث يتقيد بهما المعجمي في نصّ المفردة، وقد استخلصها كلّ من دي بوغراندي ودريسليير من خلال مقاربتهم الإجرائية على النصوص الأدبية، فالمبادئ التأسيسية: تتمثل في سبع مبادئ هي: الاتساق والانسجام؛ والقصدية والقبولية والإخبارية والسياقية والتناصية¹².

ولكن لاحظ النقاد أنّ لمعايير السبك، الالتحام والإعلامية صلة وثيقة بالنص، أما الثلاثة الأخرى وهي رعاية الموقف والقصد والقبول لها علاقة بخارج النص فهو مشترك بين النص والخارج أي الموقف من جهة أن الخبرة الذاتية للمتكلم أو المتلقي حين يكون النص بين يديه تسمح بقدر من التناص بين النص وغيره من النصوص، ومن جهة أخرى فإن التناص علاقة رأسية بين النص وما يثيره عبر مضمونه أو بعض مكوناته اللغوية من استدعاء لنص، أو نصوص أخرى ولو على سبيل المشابهة بين النصين في أصغر الاشارات اللغوية التي تكون كل منهما ويصدق على التناص¹³. أما المبادئ التنظيمية للنص المعجمي: فتأتي لتنظم السبع الأسس السابق ذكرها، وهي ثلاث مبادئ تتمثل في: الكفاءة والفاعلية والملائمة فالكفاءة: يستعمل النص بأقل جهد وأكبر فائدة، مما يجعله يسير الفهم، أما الفاعلية: وتنتقل بما يتركه النص من أثر قوي في المتلقي؛ بحيث يتحقق الهدف المرجو منه، أما الملائمة: فهي وسيط بين مبدأ كلّ من الكفاءة والفاعلية، وتنتقل بالتوافق والتناسب بين مقتضيات الموقف ودرجة الانطباق المعايير النصية على ذلك النص¹⁴.

4. الأدب الإفريقي رؤيته وأهدافه وتأثيره في مدونات التعليم:

نعني بالأدب الإفريقي الحديث، أو ما يسمى بـ "الأدب الزنجي" ذلك الأدب الذي يظهر في النصف الثاني من القرن العشرين والذي يقسم إلى أدب المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى التي تظم في الشمال دولا عربية وإسلامية، ودولا أخرى جنوب الصحراء تدعى بإفريقيا السوداء والتي يسمى أدبها بـ "الأدب الإفريقي الأسود" ولربما هذا التصنيف يرجع إلى تصنيف عرقي عنصري فرضه المستعمرون؛ وينظر الأدب الإفريقي في الأصل إلى: حياة الناس من نافذة الشعور، يرى في الوقائع حياة من عاشوها، لا يعنى بالانتصارات السياسية ولا الهزائم التاريخية، لكنه يهتم بحياة الذي تقاطعت حيواتهم مع ذلك الانتصار أو تلك الهزيمة. فقد جسد العديد من المآسي التي حدثت في

بلدان القارة السوداء، سواء أكان أدب الأفارقة السود الذين عانوا من الظلم والاضطهاد والتهميش والاستعمار والحروب الأهلية، أو أدب إفريقيا كلها المتنوع الذي يعكس جمال بلدانها وثقافة شعوبها. رغم أن الأفارقة ظلوا لفترات طويلة يتحدثون عن مشاكلهم وأحلامهم بالاستقرار والحياة الكريمة. وبهذا الأدب يسعى المترجم لجعل الأشياء الجديدة جذيرة بأن تكون محل تفكير، كما يمثل مرآة يرى فيها المجتمع وجهه، غير أن صناعة النشر لا تواكب هذه الرؤية، كموضوعي الهوية والعنصرية.¹⁵

ومن بين الموضوعات التي يعالجها الأدب الإفريقي نذكر ما يلي:

- مسألة لون البشرة الزنجية.
- الضرب بقوة ومرارة على أبواب الحرية المأمولة لشعوب القارة.
- استعادة الماضي المجيد لإفريقيا، والحلم بغد آت قريب تتحقق فيه القيم والأخلاق.. الخ .
- يتناول موضوع الانقسام والأمل والشجاعة
- نفى الصورة النمطية الاستعمارية ومعالجة مساوئ المجتمع المحلي ما بعد الاستقلال بكل ما فيه من تخلف وجهل وفساد، ومظالم اجتماعية وتفكك أخلاقي وقيمي واحتقان سياسي وحروب.
- قضية تنقل إنساناً إلى بر الأمان، في إنقاذ لاجئين من الغرق في البحر الأبيض المتوسط، بل مساعدتهم على عبور الصحراء بأمان، بتوفير الماء والطعام والمأوى لهم إن أمكن .
- ومنها سنرى في تحليلنا ما تعالجه النصوص المعجمية الموجهة إلى المتعلمين المتدربين فيما بعد.

5. الإيديولوجيا في الكتابة الأدبية والمعجم :

5-1- الإيديولوجيا:

لهذا المفهوم أثر عميق في النصوص الأدبية ككل وله أهداف مختلفة وتوصل نقاد الأدب إلى أن هذا المفهوم يعتبر مثل معظم مفاهيم العلوم الاجتماعية والإنسانية واسع، يحتمل الكثير من الدلالات والتفسيرات، وهو من أكثر المفاهيم في الحقول المعرفية المتنوعة تداولاً وأكثره غموضاً وتلويحاً وتشعباً. فهو يعود إلى عدة مجالات من التفكير الفلسفي، الثقافي والحضاري، ونحن سنختار تعريفاً لأحد الباحثين العرب من التراث العربي يوضحه وهو "عبد الله العروي" يعتبر أن "الإيديولوجيا" كلمة دخيلة على جميع اللغات الحية وهي تعني لغوياً في أصلها الفرنسي (علم الأفكار) لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي، واختلف العرب في ترجمتها منها (منظومة فكرية) (عقيدة) ويوضح العروي: "أننا عندما نقول إن هذا الحزب يحمل "إيديولوجية" ونعني بها مجموع القيم والأخلاق. والأهداف التي ينوي تحقيقها على المدى القريب والبعيد، والذي يعود إلى الأحزاب السياسية له علاقة بالنفوذ والسلطة، كما يشير هذا المصطلح إلى أيديولوجية عصر من العصور التي تبين الأفق الذهني الذي كان يحدد فكر إنسان ذلك

العصر، ففهوم الإيديولوجيا إذن مرتبط بالمجتمع والتاريخ ومفهوم الإيديولوجيا إذن لا ينتعش ويتبلور إلا في إطار تاريخ اجتماعي" ¹⁶.

وكما أن للإيديولوجيا صلة بالعقيدة والثقافة، فالأول له صلة سلبية والثاني له صلة إيجابية، حيث هي سبب في الإيديولوجيا فهي مكون من مكوناتها حيث تشكل تصورات الأفراد لتجعل من تلك التصورات تصورات عملية ووظيفية، تحقق للإنسان حاجات معينة، في بيئة معينة، سواء كانت هذه الحاجات مادية، تتعلق بأمور حياته اليومية أو النفسية، وتعلق بتكيفه مع الآخرين ¹⁷.

إذن: الأيديولوجيا هي نسق من المعتقدات والمفاهيم (واقعية ومعيارية) يسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة من خلال منظور يوجه وييسر الاختيارات السياسية الاجتماعية للأفراد والجماعات، كما أنها نسق من الآراء والأفكار والنظريات السياسية والحقوقية والدينية والأخلاقية والفلسفية، فالإيديولوجيا جزء من الوعي الاجتماعي تتحدد بظروف حياة المجتمع المادية وتعكس العلاقات الاجتماعية، وتمثل شكلاً من أشكال الصراع الطبقي الأساسية، تظهر توازناً بين الجانب الواقعي والأخلاقي اللذين يمثلان مقومات الأيديولوجية ¹⁸.

5-2- المعجم والإيديولوجيا:

يجب علينا شرح مفهوم التمثيل أولاً والذي هو عبارة عن إحالة والذي نجده أنه عبارة عن إحالة على الجانب الاجتماعي، في علم النفس المعرفي، من خلال قول روبار أيضاً: "... كل مجموع من معطيات الواقع المادي للعالم، يوافقه مجموع جديد من الوحدات، مادية أيضاً التي تضمن وصفاً معيناً للمجموع الأول..." ¹⁹، ويتضح الجانب الاجتماعي من خلال التكوين الإيديولوجي للمعارف الفردية عن طريق المعرفة الجماعية للعالم ²⁰، وتمثيل الثقافة هي جانب مهم ملتصق بالجانب الاجتماعي، وقد ظهرت الثقافة في السنوات الأخيرة باعتبارها وجهة مهمة في تعليمية اللغات، وهذا في مجال تعليم اللغات، لغير الناطقين بها، فقد أصبح المكون الثقافي، عاملاً حاسماً في تعليم اللغات على ما كرسه روبار غالسون Robert Galisson في ميدان تعليم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية، والثقافة دليل على وجهة أيديولوجية وهذا التوجه فرضته شروط تاريخية وأيدلوجية، سارت باتجاه تطور البلدان المستعمرة بالنظر إلى لغة المستعمر وثقافته المرتكزة على الهجرة مما أدى إلى صدام الثقافات ²¹، ومنه فالثقافة هي مجموع اكتسابات *acquisition*، الفرد من مجتمعه الذي يمثل اللاجئين الأطفال والمتعلمين المراهقين في البلدان الأوروبية وهذه الصورة تترجم الانطباع الذهني الذي تركته هذه الاكتسابات التي تأخذ طابع الحقيقة ²²؛ وهذا يساق ضمن الإدراك المعرفي في اللغة وهو ما تتضمنه المعاجم بما أنها من وسائل اكتساب المعجم الأحادي اللغة أو الثنائي اللغة، فالمعجم مؤثر في تمرير الإيديولوجيا وتكريس التمثيلات التي قد تداولها المجتمع عن طريق تمثيله باللغة المجردة والمصورة.

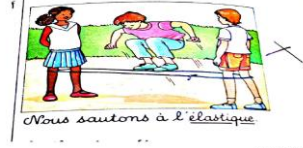
ثانيا- نماذج عن الصورة التوضيحية السيميائية في معجم لاروس للمبتدئين:

اخترنا في هذا الجانب التطبيقي قراءة نقدية بحثا عن أثر الايدولوجيا في الصورة التوضيحية من معاجم ثلاثة موجهة إلى أطفال ومتعلمي المرحلة الابتدائية والمتوسطة من سن 8 و 11 سنة إلى 15 سنة أي الذين هم في طور تعلم القراءة وما بعدها، الذين هم من الناطقين باللغة الفرنسية، و غير الناطقين بها، آخذة بعين الاعتبار احتياجات الفئة المتكلمة باللغة العربية في مجال تعليم اللغة الفرنسية للأطفال المعربين والمفرنسين²³، وهذه المعاجم هما معجمي لاروس²⁴، حيث سنحاول ايجاد أثر لأيدولوجيا الكاتب أو المؤلف وتفسير ما تخفيه نصوص الصور التوضيحية التعليمية، وكيفية التعامل معها من خلال القوالب المعبرة عن الطفل الإفريقي الأسود.

التحليل :

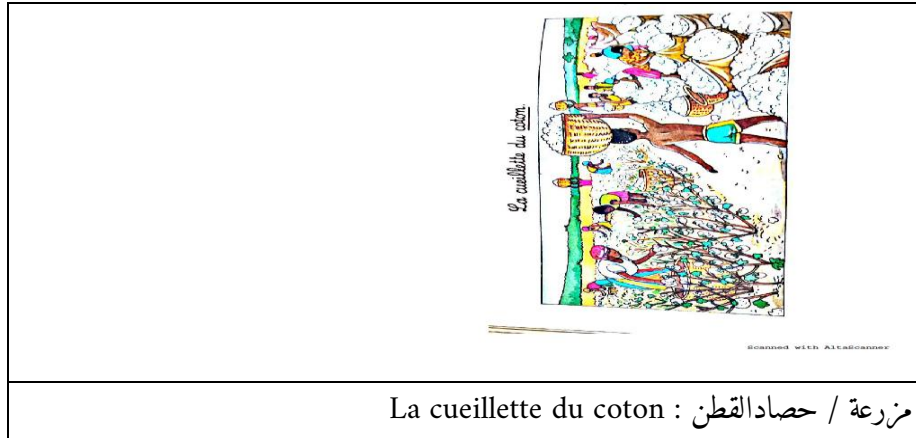
حصرنا من خلال الجدول المداخل التي اقترنت فيها الأمثلة بالصورة التوضيحية، تمثيلا للأفعال والأسماء في تراكيب نحوية في محتوى أمثلة سياقية نحاول شرح كل منها كالاتي:

أ-التعاش في اللعب والتعلم:

		
نستعمل المعلوماتية Nous faisons de l'infomatique	نقفز على الحبل المطاطي Nous sautons à l'élastique	نلعب لعبو الدمينو Nous jouons aux dominos

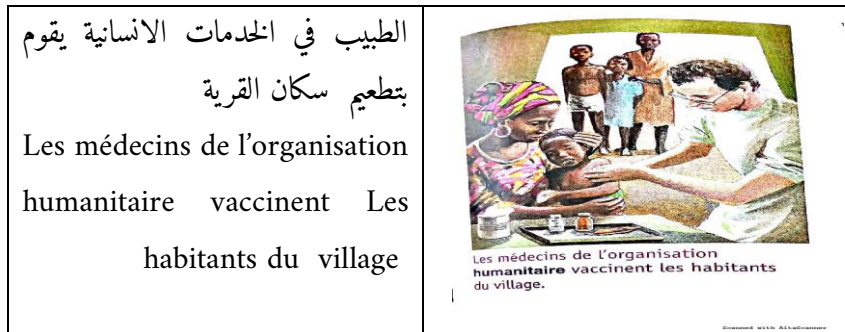
حيث صوّرت أجزاء من حياة المجتمع الفرنسي المتعدد الأجناس في تعايش الأطفال وترسيخ المساواة من خلال اللعب الذي يضفي السعادة والانسراح في الصدور، وهو تنظير حديث في توظيف مفهوم المساواة كعملية سياسية تتجلى للأطفال المتعلمين السود وغيرهم من خلال الألعاب في الحياة اليومية في المجتمع الفرنسي لتبين تفاعل الأطفال من مختلف الأجناس وكأنهم مجتمع واحد لا فرق بينهم، مما يعزز دور التنشئة الطبيعية، وبهدف إلى نبذ العنف والسيطرة وخلق قيم أخلاقية إنسانية، لا وجود للعنصرية أو العرقية بل المساواة والعدل والحضارة التي يبحث عنها اللاجئون إلى بلد فرنسا.

ب-الحصاد والزراعة:



الملاحظ من وراء صورة عمال حصاد القطن هو ما كان فيه استخدام لبشر السود أيام الاستعمار لتحقيق السيطرة الأوروبية، وهي من الصور التي تحيل على النشاط المحلي للأفراد في زراعة القطن، مؤطرة في قالب يظهر نسوة وأطفال يقومون بعملية جني القطن وحمله على الأكاف والرؤوس، مما يبين واقع النساء السود في المجتمع الأفريقي وهو نشاط لا يطاق ولا يتطابق مع الواقع المعاصر، أما الصورة الثانية فتوحي أيضا بالعمل الشاق بوسائل بدائية مما جعلها محل سخرية وانحطاط حضاري، كما يوحي أن البلد الأصلي للطفل الأسود ينحصر في الفقر والشقاء وعمل الأطفال وحرمانهم من التعليم واللعب، ويرسم فكرة أنه موطن أو مكان ليس مناسباً لهم لحياتهم المستقبلية .

ج-التعاون بين المجتمعات من أجل الطفل والأمومة:



تلخص هذه الصورة إنقاذ حياة لا جئين عبر حدود صحراوية وذلك بتوفير كل ما يحتاجون إليه من أمان وماء وطعام ومأوى، و من جانب آخر تمثل مشهد الفرق والجوع والمرض، وإنما الوجه الخفي هو مشهد الأصول الخفية للعملة، وهو مخطط استعماري في قالب جديد. فالعملة قد تتم باستخدام المنجزات العلمية لتحقيق السيطرة الأوروبية، من خلال أدوات عديدة، مثل قلع الحجر

والعزل الصحي والتعقيم، وغيرها من الأدوات التي كثيراً ما كانت تُتخذ كذرائع أكثر من استخدامها كأسباب حقيقية.

8- النتائج:

1. يتضح من خلال تحليل تمثيلات الإيديولوجيا في معجم لاروس ما يلي:
1. تسعى الإيديولوجيا، كما يظهر في هذه المعاجم، إلى تقديم تفسير شامل للمجتمع، متكئة على قيم دينية وأخلاقية وتراثية تُقدّم باعتبارها حقائق عامة مقدسة، وتتمظهر ضمن نسق معقد يوحد اللغة والدين والأسطورة.
2. يُبرز الخطاب الإيديولوجي استقراراً قائماً على تماسك القيم المنتقلة بين الأجيال داخل المجتمع الفرنسي، ويُظهر انسجاماً اجتماعياً يخفي التناقضات الطبقية.
3. لا يظهر تحيز أو تعصب مباشر، بل يبدو أنّ الإيديولوجيا هنا تحجب الفوارق الاجتماعية وتُظهر المجتمع في صورة وحدة وانسجام، ما يجعلها أقرب إلى خطاب إصلاحي منفتح.
4. تعمل الإيديولوجيا على نشر قيم المساواة والصداقة ونبذ العداوة، وتستند أساساً إلى مخاطبة العواطف أكثر من العقل، وتقديم نفسها كمرجعية فوق العلم.
5. تُخدم الإيديولوجيا مصالح فئات اجتماعية معينة، وتُسهم في بناء مجتمع ما بعد الكولونيالية، كما تعكس رغبة أصحاب المعاجم في الحفاظ على انتشار منتجاتهم وثقافتهم.
6. تبقى الأيديولوجيا رغم انتمائها لخلفية اشتراكية مجتمعية مرتبطة، فإنها تبقى مرتبطة بامتيازات الطبقة السائدة، مع الإقرار بأن الصراع الطبقي لم يعد بالحدة التي كان عليها خلال حقبة الحرب الباردة، وإن ظل قائماً داخل المجتمع الواحد.
7. تهدف الإيديولوجيا في المعاجم إلى تحقيق التغيير بالتدرج والإصلاح، وتسعى إلى رؤية مستقبلية أفضل عبر خطاب إصلاحي تقديمي.
8. تتجلى وظيفة التجمع في هذا الخطاب الإيديولوجي، من خلال الحفاظ على الأمن الاجتماعي والانسجام الداخلي، وإظهار الصداقة واحترام هوية السود عبر رموز بسيطة، كما تظهر وظيفة التبرير في محاولة الصور إبطال فكرة وجود خصوم داخل المجتمع نفسه، عبر الترويج لقيم الحرية والمساواة والرفاهية.

خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أنّ المعاجم المدرسية لا تُعدّ مجرد أدوات لغوية محايدة، بل تحمل في طياتها منظومة كاملة من التمثيلات والإيديولوجيات التي تُعيد إنتاج نظرة معينة إلى "الآخر"، ولا سيما الطفل الإفريقي. فعبر الصور واللغة ينتقل نموذج ثقافي يراوح بين قيم الإنسانية والانفتاح من

جهة، وترسيخ قوالب نمطية قديمة تُسهم في خلق فجوة نفسية وثقافية لدى المتعلمين من جهة أخرى. ومن ثم، فإنّ هذه المعاجم تُمارس تأثيراً مزدوجاً: فهي تعلّم وتبني، لكنها أيضاً تُوجّه وتموضع الهوية في إطار محدد قد لا يعكس الواقع بتعدداته وعمقه. وهذا ما يستدعي مراجعة نقدية واعية لطرق تمثيل الآخر في الوسائط التعليمية، بما يضمن تقديم صور أكثر توازناً وعدلاً، ويحفظ كرامة المتعلم، ويسهم في بناء وعي قائم على الاحترام المتبادل والتعدد الثقافي الحقيقي، بعيداً عن أي وصاية أو تمنيظ أو إسقاطات تاريخية.

الهوامش:

- 1- ينظر: عبد الجليل مرتاض، 2010، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، الجزائر، منشورات دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ص 17.
- 2- (محمد التونسي، 1993م، ص 402).
- 3- عبد الغني أبو العزم، وظيفة المعاجم المدرسية للتعليم الأساسي، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، مجلة اللسانيات، ع 10، 2010، ص 40.
- 4- فتحي جميل، النص القاموسي بين الوحدة والتنوع، مجلة اللسانيات، ع 19 و 20، ص 241.
- 5- ينظر: إلى هذا المعجم، بيروت 1986. والثاني بيروت 1985.
- 6- الذيب سليمان بن عبد الرحمان، المعجم النبطي، دراسة تحليلية مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000.
- ينظر: إبراهيم ابن مراد، المقولة الدلالية في المعجم، المجلة المعجمية التونسية، ع 16-17، ص 741.
- 8- زكية دحماني، النص القاموسي للقاموس العام والأسمائي دراسة مقارنة، مجلة اللسانيات، ع 19-20، ص 265.
- 9- إبراهيم بن مراد، أسس المعجم العلمي المختص في الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية، للتونسي الشيخ محمد بن عمر، المعجم العلمي المختص، ص 40.
- 10- ينظر: فتحي الجليل، النص القاموسي بين الوحدة والتنوع، مجلة اللسانيات، الجزائر، ع 19-20، ص 252.
- 11- ينظر المرجع السابق، ص 240.
- 12- ينظر: فتحي جميل، النص القاموسي بين الوحدة والتنوع، مجلة اللسانيات، ع 19 و 20، ص 238 و 242.
- 13 - ينظر إلى هذه المقومات أو المعايير إلى دلالة السياق اعبد الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي 1423 هـ جامعة ام القرى مكتبة الملك فهد الوطنية ط1: ص 261
- 14 - ينظر: بتفصيل لذلك: Kristen Malmkjaer (ed) 1995. The Linguistics. Encyclopedia ; New York-London routledge. pp.623-632.
- 15 - 20-1962 Ezekeil, Mphalele p
- 16 - عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، دار التنوير، بيروت، 1110، ص 24
- 17 - عبد الغني عبود، الايديولوجيا والتربية (مدخل لدراسة التربية المقارنة)، دار الفكر الغربي، القاهرة، 1110، ص 21.

18 - François Bourricaud , Le Bricolage idéologique (Essai Sur Les Intellectuels Et les Passions Démocratiques), Presses Universitaires De France 1980, P.P..01.11

19- Mechal Denis Daniel ; Deubois La eprésentation cognitive quelques modeles ecents in l annee psychologique 1979 Vol 76 N2 pp 541-562

20 - المرجع السابق ونفس الصفحات

21- Foerment-Berni Canani Michele les information cultuelles dans un dictionnaire bilingue d apprentissage ELA p468-479.

22 - Mechal Denis Daniel ; Deubois La eprésentation cognitive quelques modeles pp 541-562 ينظر:

23- Preface Larousse Nouveau Dictionnraie des debutants p3

24 -لاروس للمبتدئين فرنسي فرنسي عربي، مكتب لبنان ناشرون ، 1998، / لاروبار للطلاب فرنسي فرنسي (اموسي الأول موجه خاصة للجزائر، 2017، دار ليزا / لاروس للطلاب اموس مصور فرنسي فرنسي عربي ، هاشيت 2015.

المراجع والمصادر:

المعاجم:

- لاروس للمبتدئين فرنسي فرنسي عربي، مكتب لبنان ناشرون ، 1998،
- لاروبار للطلاب فرنسي فرنسي (اموسي الأول موجه خاصة للجزائر، 2017، دار ليزا)
- لاروس للطلاب اموس مصور فرنسي فرنسي عربي ، هاشيت 2015.

المراجع العربية:

- عبد الجليل مرتاض، 2010، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، الجزائر، منشورات دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
- فتحي جميل، النص القاموسي بين الوحدة والتنوع، مجلة اللسانيات، ع 19 و 20.
- الذيب سليمان بن عبد الرحمان، المعجم النبطي، دراسة تحليلية مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000.
- إبراهيم بن مراد، أسس المعجم العلمي المختص في الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية، للتونسي الشيخ محمد بن عمر، المعجم العلمي المختص.
- دلالة السياق عبد الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي 1423هـ جامعة ام القرى مكتبة الملك فهد الوطنية ط1:
- بيل أشكروفت ، جاريت جريفيت وهلين تيفين دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية ،
- بيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية دار شركة المصرية العالمية لونجمان .
- عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، دار التنوير، بيروت، 2010.
- عبد الغني عبود، الايديولوجيا والتربية (مدخل لدراسة التربية المقارنة)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2010،

المجلات:

- إبراهيم ابن مراد، المقالة الدلالية في المعجم، المجلة المعجمية التونسية، ع 16-17،
- زكية دحماني، النص القاموسي للقاموس العام والأسمائي دراسة مقارنة، مجلة اللسانيات، ع 19-20،.
- عبد الغني أبو العزم، وظيفة المعاجم المدرسية للتعليم الأساسي، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، مجلة اللسانيات، ع 10، 2010، .
- علوش كمال، النص التعليمي وهوية الطفل الجزائري، مقارنة الألفاظ وفق الاجراءات نظرية التحليل الدلالي، مجلة الأثر جوان 2018، ورقة الجزائر،
- عمر بوشنة، دلالة النص وعلاقته بالقيم التربوية في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة متوسط، مجلة آفاق العلمية ، ع 12، ديسمبر 2002، تمناست.

المراجع الفرنسية:

- Kristen Malmkjaer(ed) 1995.The Linguistics.Encyclopedia ;New York-London routledge.
- Debove,josette Rey. Le contouement du metalangage dans les dictionnaires pour enfants Repères Paise :Institut national de recherche pédagogique n°8.
- Larousse Nouveau Dictionnaire des debutants Préface .
- Rossi Micaela .dictionnaire pour enfants et accès au sens lexical .pour une reflexion metalexigraphique ...
- François Bourricaud , Le Bricolage idéologique (Essai Sur Les Intellectuels Et les Passions Démocratiques), Presses Universitaires De France 1980,
- Mechal Denis Daniel ; Deubois La epesentation cognitive quelques modeles ecents in 1 annee psychologique 1979 Vol 76 N2 -562
- Foerment-Berni Canani Michele les information cultuelles dans un dictionnaire bilingue d apprentissage ELA
- Mezare ;Francine une analyse de la definition :Formes Histoircite et ideologie in ibrahim Amr Helmy Lexique I ed eennes Hachette 1989.